Nady Al-Adab: Jurnal Bahasa Arab

Volume 22 Issue 3 November 2025
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231
Penerbit: **Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin**
Nationally Accredited Journal, Decree No. 200/M/KPT/2020
This Work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

أثر السياق في اصطفاء الأساليب لدى لقمان أَلاوِيِّيْ في تحليل الحديث النبوي "رؤية بلاغية"

Umar Muhammad Lawal Al-Imam[1] Misbaah Jaami'u Dosunmu[2]

[1] University of Abuja. Nigeria. e-mail: umar.lawal@uniabuja.edu.ng
[2] University of Al-Hikmah. e-mail: mjdosunmu@alhikmah.edu.ng

الملخص

يجدر السياق بالاهتمام في تصوير دلالة النَّص، وتوضيح مضمون الفكرة لأداء المعنى، عبر العدول عن النمطية في التراكيب، مع كشف الغطاء في تناسب الأسلوب. فإنَّ بلاغة الحديث النبوي ظاهرة تفوق الوصف، لأنَّها متأثرة بالوحي الإلهي، حيث كان الرسول-عليه الصلاة والسلام-على حد الكفاية في قدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانيَّة، حتى اقتضب ألفاظًا رائعة، وتنتج معان ساميَّة. وعلى هذا المنوال قد يهدف الباحثان إلى تحليل مشكلة البحث في رحاب تسليط الأضواء نحو جهود عبقرية أَلاوِيِّيْ في تحليل الحديث النبوي، حيث يلحق مرماه باختيار الألفاظ، ويبلغ مناه في اصطفاء المعاني، فيؤثر السياق المقالي والمقامي في إبراز المعنى المراد بدلالة النَّص البلاغي المعتاد. وإنَّ أهمية هذه المقالة مستقلَّة على مدى الذوق والملكة لدى أَلاوِيِّيْ في إفادة القراء والدارسين بمدلول نصوص الأحاديث النبويَّة، وتغذية العقول اليقظة في البنية والوظيفة نحو توجيه الباحثين في رياض المكتبة البيانيَّة النبويَّة.

الكلمات المفتاحية: *السياق؛ الأسلوب؛ النص البلاغي؛ الحديث النبوي؛ أسهامات ألاوبي؛ تحليل وتعليل.*

Abstract

The context of any text deserves attention in portraying the significance of the text, and clarifying the idea to indicate the specific meaning of that text, by avoiding the stereotypes in the structures. The eloquence of the hadith of the Prophet is a phenomenon that transcends description, because it was influenced by divine revelation, as the Messenger of Almighty Allah, May the peace and blessing of Almighty Allah be upon him, that has an ability to elaborate and split words, extract clear doctrines, and produced sublime meanings. In this way, the researcher aims to shed light on the efforts of Lukman Alawiye in analyzing the Prophet's hadith, as he joins his goal in choosing words, and reaches his goal in selecting meanings. The importance of this article based on the extent of the competence and ability of Alawiye in informing readers the actual meaning of the texts of the hadiths of the Prophet.

Keywords*: Context; Style; Rhetorical Text; Hadith; Alawi's Contributions; Analysis and Explanation.*

1. مقدمة

تنصرف العقول إلى دلالات التراكيب، ذوات خصائص عليا في تبيين المحاسن الجليلة. وعلى هذا المنوال السياق هو الذي ينطق الكلمات ويصرف لسانها. وللسياق شأن عظيم في توجيه معان البيان. فقد يؤكد البلاغيُّون أنَّ التركيب تختبئ في خصائصه وأحوال إشارات ودلالات مختلفة، وأنَّ السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته، وكأنَّ التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس، تعطى ألوانًا متكاثرة كلما أردتها إدارة جديدة، والسياق هو القوّة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشاعته.

والمعاني متولدات تشيعها السياقات والتراكيب، والحاكم في ذلك كما يقول سعد الدّين التفتازاني: "هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب، فبل ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته، أو مثال وجدته، من غير أن تتخطاه بل عليك بالتصرف واستعمال الرؤية والله هو الهادي" . فإنَّ الأبلغية لا ترجع إلى المعنى في ذاته، وإنما ترجع إلى إثباته، فتتعمق طبائع الكلام وأسراره في ظلال البيان وتصويره، وكيفية مناشئه في حقيقته ومجازه، حيث تظهر الأبلغية وتبرز الجودة في مقياس صانعه، وحينئذ يؤكد للنسبة إثباتًا أو نفيًا في زاويته، فيقود المعنى بطريق الاستدلال والتفطن إلى السياق وقرائنه، لأنَّ المعاني التي تفيض بها الأحداث والصور أغزر وأبين، أجدر وأمكن، ولا بد أن يكون هذا القدر الزائد مقصودًا، وأن لا يكون هناك سبيل إلى الإبانة عنه إلا هذا الطريق، لأنَّ كل وسيلة من وسائل البيان لا يصار إليها إلا لضرورة.

والقصد لا يتحقّق إدراكه إلا من خلال السياق. لأن مشكلة تناول قضية تتعلق باللغة والأدب كانت متضافرة، وذلك لسبب قلة اهتمام معظم الباحثين والدارسين الموهوبين زمام القلم في تغذية العقول وتزويد القلوب، وخاصة ما تكمن في زواياها من قضايا علميّة مرهفة، ذوات قبسات نور العلم، لارتباط الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية بها، عبر بناء مستقبل باهر زاهر للأجيال والأمم الحاضرة والقادمة. وعلى هذا استطاع الباحثان توضيح مشكلة هذا البحث في رحاب الأسئلة المقترحة لنيل الضالة العلميّة المنشودة، وغاية ما في الأمر في هذا الصدد تشتكل في السطور التالية:

أسئلة البحث:

- ما تلك المصطلحات المعجمية لتوضيح معنى السياق ودلالته؟
- ما آراء العلماء القدامى والمحدثين في مفهوم السياق ومراعاته تنظيرًا وتطبيقًا؟
- ما هي مؤثرات السياق في تحصيل المعاني، عند تحليل الحديث النبوي، في بعض إنتاجات أَلَاوِيِّيْ التأليفيَّة؟
- ما مدى استنباط الحقول البلاغية، عبر تحليل بعض الأحاديث النبويَّة في مكتبة أَلَاوِيِّيْ البيانيَّة؟
- كيف اختار أَلَاوِيِّيْ الأساليب في إبراز خصائص الدلالة والتراكيب، لتوطيد الفهم والإفهام بما تكمن في البيان النبوي المتميّز؟

أهداف البحث:

سعى الباحثان سعيًا حثيثًا إلى تحقيق الأهداف البحثية المقصودة، وتوضيح الأجوبة المناسبة لأسئلة البحث المقترحة في السطور السابقة، ومصداق ذلك تحت النقاط التالية:

- إفادة المتلقي بالمفهوم المعجمي لمصطلح السياق حسب حقول دلالته.
- تصوير حقائق علمية تناولها أعلام البيان العربي من القدامى والمحدثين عبر تنثيق معنى السياق نظريًّا وتطبيقيًّا.
- إبراز الجهد المبذول في إنجازات ألاويِيْ ومؤثراته في موكب السياق بالمنجز الذهني، من خلال تحليل البيان النبوي بالاستثمار الفكري معنى ومبنى، وتوضيح خصائصه حسب إسهاماته تأليفًا وتصنيفًا.
- بيان مؤثرات الصورة الذهنية في نصوص الأحاديث النبوية، لربط أسرارها البلاغية بالقضايا الاجتماعية.
- دقة النظر وإنعام البصر نحو أسلوب ألاويَيْ إبراز في عرض النَّص البلاغي في ظلال الحديث النبوي، لتوطيد فحواه وتوزضيح مغزاه إجمالًا وتفصيلًا.

2. منهج البحث

استعمل الباحثان منهجيْن علميْن وهما: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي في تناول هذا الموضوع المرهف، لإعطاء البحث حقَّه ومقداره حجَّةً وبرهانًا، ولحصول على الغاية البحثية ونيل مرماها بيانًا وتبيانًا.

3. مناقشة ونتائج البحث

3.1. المحور الأول: نبذة تاريخية عن حياة لقمان أَلَاوِيِّيْ

أ. مولوده ونشأته

كان لقمان نور الدين أَلَاوِيِّيْ من مواليد سنة 1975م لأبوين كريمين عزيزين، بمدينة سَاكِي، ولاية أَوْيَو، نيجيريا.

ب. رحلاته العلمية

حصل على الشهادة الابتدائية في عام 1988م من المدرسة الإبتدائية بحي إِلُوَا مدينة ساكي، والثانوية بمدرسة أَسَابَرِي عام 1994م، ولكون أَلَاوِيَيْ شغوفًا بالعلم منذ الصبا حصلت أيضا على شهادة الثانوية العربية من المعهد الثقافي الإسلامي بأَبَوْلَيْ إِرَوْكَوْ تحت إدارة الشيخ آحمد القروي عبد القادر. ولشدة رغبة مترجمنا في العلم والمعرفة أخذًا وأداء حضر كلية التربية الفيدرالية بِأَوْكِيّ، ولاية غَوْغِي، نيجيريا خلال سنة واحدة فحسب، وذلك قبل التحاقه بجامعة عثمان بن فودي صكتو عام 1995م، في قسمها العربي. حصل على شهادة الليسانس بتقدير جيّد جدّا في عام 1999م، كالفائز الأوَّل من فوجه في كلية الآداب والدراسات الإسلامية، ثم قدّم الخدمة الوطنية في كلية التربية لولاية كَبِي، ما بين 2000م-2001م.

فوظف بعد الخدمة أستاذًا في القسم العربي في تلكم الكلية، حيث عمل حوالي ست سنوات قبل انحراطه في سلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالنيجر عام 2006م مدرسًا للبلاغة والعروض في جميع كلياتها. حصل السيّد لقمان أَلَاوِيَّيْ على شهادة الدبلوم العالي في التربية بتقدير جيّد جدا في عام 2001م، ثم الماجستير في البلاغة من جامعة عثمان بن فودي صكتو، بروائع رسالته المعنونة بـ"التصوير الفنّي والبلاغي في ديوان الإمام الشافعي"، والدكتوراه في الجامعة نفسها بتخصّصه الدقيق في البلاغة العربية عام 2011م، برسالة علميّة عنوانها "البديع في الحديث النبوي، دراسة بلاغية تحليلية لنماذج من سنن الترمذي". وقد شاء القضاء والقدر بالعلم رفعته، فحقّق الله سبحانه وتعالى أمنيته مرتقيًا إلى درجة الأستاذية عام 2020م.

ت. أساتذته وشيوخه

أخذ أَلَاوِيَّيْ جميع العلوم العربية والإسلامية إلى أن بلغ مرحلة البلوغ. ومن الذين أفاض عليه كنوز العلم والمعرفة هو عمّه الشيخ عثمان أحمد أَلَاوِيَيْ الذي أخذ منه كتبًا أدبية عتيقة وكان أسوته في الرحلة الروحية. ومما يجدر أن يشير إليه الكاتب في هذا الصدد أن الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا والدكتور أبوبكر عبد الملك (مشرفه الأول) بجامعة عثمان بن فودي صكتو، لهما تأثير كبير في مسيرة حياة أَلَاوِيَيْ العلمية، وخاصة في ميدان البلاغة.

ث. خبراته الإدارية وحركاته الأكاديمية

أخذ الأستاذ الدكتور لقمان أَلَاوِيَّيْ نصيبًا مفروضًا في الجولة الأكاديمية، وقام بدوره الفعّال في الشئون الاجتماعية، بما له من خيالٍ جميلٍ ممتعٍ كتابةً وخطابةً، وله إبداع رائع مقنع شعرًا ونثرًا، قد ينفق الغالي والنفيس، بجودة رأيّه وقوّة ذكائه في خدمات المجتمع عند الرغبة والرهبة، وعلى منوال ذلك انكبت نشاطاته الإدارية انكبابًا عجيبًا للنفع والانتفاع مبنى ومعنى، قد أشرف على عديدة من الرسائل العلمية والبحوث الأكاديمية في جميع مراحلها، قوّم البحوث لتحقيق ترقية الباحثين والدارسين في ميادين مختلفة. شارك في شتى المؤتمرات العلمية داخل الوطن وخارجه بأوراق علميّة قيّمة، كان سريع البديهة ذكيًّا حاد الذكاء. ومصداق ذلك ما تكمن في السطور التالية من أنشطته العلمية:

- منسق الدراسات العليا بكلية الآداب، من 2020م إلى وقت.
- نائب عميد كلية الآداب والتربية، جامعة ولاية بَوْتشِي، غَطَوْ، نيجيريا، من عام 2013م-2017م
- رئيس مجلة "غَطَوْ" لكلية الآداب والتربية، جامعة ولاية بوتشي، نيجيريا، من عام 2014م-2018م
- رئيس مجلة "الآفاق"، لقسم اللغة العربية، جامعة ولاية بَوْتِشِي، غَطَوْ، نيجيريا، من عام 2018م إلى الوقت.
- رئيس اللجنة التنفيذية لقضايا الخيانة والغش في امتحانات جامعة ولاية بَوْتشِي، غَطَوْ، نيجيريا، من عام 2018م إلى الوقت.
- إمام وخطيب المسجد الجامع لجامعة ولاية بوتشي، نيجيريا، من عام 2016م إلى الوقت.
- عضو لجنة نشرة الجامعة، فرع جامعة ولاية بوتشي، نيجيريا، من 2018م إلى الوقت.

- مؤسس ومدير كلية البيان للغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا.
- السكرتير السابق للمجلس التنفيذي في الجامعة الإسلامية بالنيجر.
- الإمام السابق لجامع يوربا في مدينة أَرْغُنْغُ وخطيبه، ولاية كَبِي، نيجيريا

ج. من إنتاجاته البلاغية وإنجازاته العلمية

جاد أَلَاوِيِّيْ وأفاد تأليفًا وتصنيفًا، فنال قسطًا وافرًا في مواطن نشر العلم لنصر الإسلام شعرًا ونثرًا، وكانت البلاغة العربية موكب تخصّصه الدقيق جسدًا وروحًا، بذل في تطوير حقولها جهدًا مضنيًا. وقد يعد أحد أعلام البلاغة العربية في نيجيريا خاصة، وفي إفريقيا عامة، وفي العالم قاطبة. وله مواطن أوليّته في تطوير آفاق البلاغة العربية في الديّار النيجيرية، منها:

- أول رجل أكاديمي بلاغي نيجيري أحاط بعلوم البلاغة العربية الثلاثة بالشعر التعليمي تأليفًا وتصنيفًا.
- أول عالم نيجيري قام بتحليل بلاغي عبر كتاب أربعين حديثا النووية إجمالًا وتفصيلًا.
- أول عالم بلاغي نيجيري قام بالتفسير البياني بلسان عربيّ مبين في شهر رمضان المبارك.

ح. في ظلال مؤلفات أَلَاوِيِّيْ البلاغية

تكمن في النقاط التالية بيانات تفصيلية عن مواطن التأليف والتصنيف لدى الأستاذ الدكتور لقمان ألاويي في رحاب تطوير البلاغة العربية في الديار النيجرية، وبذلك نال قصب السبق في معظم جهوده المقدَّرة، وله يد طولي في توسيع نطاق البيان العربي على مدى الاستثمار الذهني بالكنوز العلميَّة التي تمج قلم ظلامه في النهار لسانه عبر توطيد الأفكار النيّرة للنفع والانتفاع. ومن نماذج انجازاته القلميّة ما تضمنتها السطور التالية:

1. التحليل البلاغي للأربعين حديثًا النووية، (2011م).
2. النونية الكافية في علم البيان، (2012م): هو ديوان الشعر مستقل في تناول علم البيان وما تضمنه من ظواهره البلاغية بأسلوب رائع ومقتنع.
3. النونية الشافية في علم البديع، (2013م). هذا ديوان الشعر متميّز بتوضيح جميع الأساليب البديعية على مدى المحسنات اللفظية والمعنوية، وفي زواياها استطاع هذا الشاعر البلاغي المتمكن بتسهيل حقائق هذا المنجز الفكري في صورة جذَّابة مرنة.
4. النونية الوافية في علم المعاني، (2020م): هو ديوان شعري مختص بأفكار مناسبة للغرض العلمي المقصود، والهدف البياني المراد، وفي ظلاله يقتبس المتلقي مشكاة نور العلم مع دقة التوضيح عبر أبلغية البلاغية بأقصى التفاصيل، حيث سعى الشاعر سعيًا حسيسًا لإفادة المتلقي المتذوق بما تكمن في ظواهر المعاني دالًا ومدلولًا.

خ. نماذج من مقالاته البلاغية

1. مع البيان النبوي، نبذة تاريخية، "مقالة مشتركة"، (2018م): مقالة منشورة في مجلة علميّة جامعيّة محكّمة.
2. استقلالية البديع بين الموافقين والمعارضين، (2016م): هي مقالة مقدّمة في المؤتمر الدولي.
3. جدلية النظم بين القاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني، "مقالة مشتركة"، (2016): مقالة منشورة في مجلّة عالميّة موسوعة.
4. التقسيم في البيان النبوي، دراسة بلاغية لنماذج من سنن الترمذي، "مقالة مشتركة"، (2016م).
5. بلاغة المقابلة في الحديث النبوي، (2015م).
6. مطالب التجديد لتعليم البلاغة في المدارس الثانوية في غرب إفريقيا، (2014م).
7. بين البديع وعلوم لغوية، (2014م).
8. الإيقاع السجعي في الحديث النبوي من خلال سنن الترمذي، (2014م).
9. مقاصد الحذف في بعض القصص القرآنية، دراسة بلاغية، (2013م).
10. لامية العجم للطغرائي، دراسة فنيّة وبلاغية، (2013م). مقالة منشورة في مجلة اللوح، العدد الثالث والرقم الثاني، شهر يولير 2013م، يصدرها قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.
11. من روائع المطابقة في الحديث النبوي؛ سنن الترمذي نموذجا، (2014م): مقالة منشورة ضمن المقالات المنشورة في الكتاب الجماعي تكريما للشيخ المرحوم البروفيسور أبوبكر علي غواندو، فقد تقرر هذه المقالة بأنَّ الطباق من أكثر الأساليب ورودًا في الحديث النبوي، نتيجة كونه من التجليات الحياتية اللازمة، ولأن الطباق أساس من عمارة هذا الكون في ظاهره وباطنه، وهو أكبر مما وصفه المؤلفون، لأن الحياة بكل عناصرها هي جزء من هذا اللون، أو هذا اللون جزء من الحياة ذاتها.

كل هذا وذاك غيض من فيض إبداعياته، على مدى ما يضيف بعلمه. فلسوف تذكر الأخلاف لعبقيرته ما حمدته منه الأسلاف وتقرأ الأجيال الآتية آياته الحسان فيما يشيده لأمته من رفيع الأركان. وله حسن السيرة، وهو سليم الضمير، محب الخير للغير، ليّن الجانب حبيب الأقارب والأباعد، متواضعًا قنوعًا ووقورًا، قد لا يزال يرسل صوته الموقظ الباعث، ونوره القوي الهادي، حتى يوقظ المستمعين إلى تفسير القرآن الكريم في حلقاته الرمضانية، لقد تفجّر من لسانه ويمجّ من قلمه ما يفيد ويخلد ذكره لدى العباد، ويثقل ميزان حسناته عند الله الحكيم الحميد، أسأل الله سبحانه وتعالى له التوفيق والسداد، ويرزقه برغد عيشٍ ما له من نفاد.

3.2. المحور الثاني: السياق في مفهومه المعجمي ومدلوله الاصطلاحي

السياق في اللغة مأخوذ من (س و ق) يقال: ساق الإبل سوقًا: جلبها وطردها، ويقال: سقته فانساق، والسقة ما يساق من الدواب وسقت المهر إلى المرأة، وذلك أنّ مهورهم كانت الإبل يقال: اتساقت الإبل، وتساوقت: إذا تتابعت، وفي حديث أم معبد "فجاء زوجها يسوق أعنزا عجافا ما تساوق" . أي: ما تتابع، وذكر الزمخشري في الأساس أنّ "من المجاز: تساوقت الإبل، أي: تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام سياقه كذا" . وقد جاء لفظ السياق أيضا في حديث عمر–رضي الله عنه–حين قيل له: أربع خصال عاتبتك.....إلى أن قال: وشكوا منك عنف السياق، ونهز الرعية، وكان مما أجاب به–رضي الله عنه–لولا ذلك لأعذرتك بعض ما أسوق ، وذكر ابن الأثير أنّ السياق: السوق والمساوقة: المتابعة ، وفي الوسيط أنّ: السياق المهر، وسياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه .

والمفهوم الاصطلاحي لدلالة "السياق" يشير إلى مجموعة العوامل التي تؤثر في اتجاه النص، وفي تشكيله وفي ظهوره. فالسياق العام للأثر الأدبي أو النص هو المجتمع والتاريخ. وهو (السياق) يعزله الناقد البيوي الشكلي عن العالم الخارجي حتى يستطيع الوصول إلى اكتشاف التواتر أو الإطراد بين النصوص الأدبية وبين بعضها. ويعتمد عليه الناقد البيوي التوليدي (الدينامي) من أجل فهم وتفسير الأثر أو النص الأدبي . والواضح أنَّ المادة اللغوية تدور على الحدو والطرد إلى جهة واحدة فلا يبعد أن يكون المراد بالسياق في اللغة سوق الكلام وحدوه إلى مقصد واحد، وربما يرشح لذلك ما جاء عليه قول ربنا: (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلدٍ ميّت) "فاطر:9" وقوله سبحانه وتعالى: "أولم يرو أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا" "السجدة: 27"، وقوله تعالى في آي الذكر الحكيم: "ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا" "مريم:86"، وقوله أيضا: "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا" "الزمر:71" نلحظ في هذه الآيات أنَّ المسوق جنس واحد، وانَّ الجهة المسوق إليها كذلك واحدة، فلو نقلنا هذا إلى حقل الكلام لأوجب ذلك علينا أن يكون الكلام من جنس واحد، وأن يكون على نسق واحد، ما دامت الجهة والمقصد الذي يهدف إليه الكلام واحدًا، وعليه فلا بعد بين المعنى اللغوي والمعنى الذي ريد التأكيد عليه.

عقد الإمام الشافعي (ت:204هـ):–رحمه الله تعالى–باب في الرسالة سماه "باب: الصنف الذي يبين سياقه معناه" . وما من ريب في أنَّ الاستنباط الفقهي يقتضي استنطاق النصوص مع الوعي التامّ بسياقها الحالي والمقالي، ويستكشف ذلك من يطالع الأم لإمام الشافعي، وفقهه النصوص. وكما ورد عند أبي عبيد القاسم بن سلام (ت:223هـ): أنَّ السياق بمعنى: المقام الذي يصاحب الكلام، وقد ورد ذلك في قوله: وهو يشرح الحديث "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" عندما قال: "وهذا الحديث ليس يجيئ سياقه ولا لفظه على هذا التفسير" . وقوله أيضا: "لا أبا لك للشيء إذا أهم، وقاتله الله، ولا يريدون به الذم، وويل للأمر إذا تم، وللألباب في هذا الباب أن تنظر إلى القول وقائله، فإن كان وليًّا فهو الولاء وإن خشن، وإن كان عدوًّا فهو البلاء وإن حسن" أي: أنّ فقه السياق الخارجي (سياق الحال) أساس لفقه النص على الوجه الصحيح.

لقد أضاف–الجاحظ (ت:255) مبيّنا مجيء السياق عنده بمعنى المقام والموقف، وذلك في قوله: "قال إسحاق بن حسان: لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط، سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري على وجوه كثيرة،

فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع.....إلى أن قال: فقيل له: فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنّها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقذه، وقمت بسياسة الذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنَّه لا يرضيهما شيء" . وأما ابن جني (ت:392): ورد السياق عنه بمعنى: "تتابع الكلمات في الجملة، أو الجمل في النصوص، وقد ورد ذلك في استعمال ابن جني للفظ عندما قال: وليس يجوز أن يكون ذلك "أي تكلف ما تكلفته العرب من الاستمرار على وتيرة واحدة، وتقريها في كلامها منهجًا واحدًا تراعيه، وتلاحظه" كلّه في كل لغة لهم، وعند كل قوم منهم اتفاقًا وقع حتى لم يختلف فيه اثنان، ولا تنازعه فريقان إلا وهم له مريدون، وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون" . وورد أيضا مراد به السياق الخاص من ذلك ما أورده عقب حديثه عن مجموعة من أغراض العرب ومقاصدهم من نحو التقبل والإنكار والأنس إذ قال: "وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما في النفوس" . وواضح أنّه يريد بذلك ما يحيط بظروف الكلام من أحوال خارجية.

وقد أكد ابن جني على السياق المقالي، وكيف يعكس سياق الحال، حين أورد حكاية قول الأعرابية في قول الشاعر:

تقول وصكت وجههـــا بيمينها ** أبعلـي هذا بالرحـى المتقــاعس

إنَّ الشاعر لو قال: أبعلي هذا بالرحى المتقاعش.....من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنَّها كانت متعجبة منكرة، لكنّه لما حكى الحال فقال: وصكت وجهها بيمينها علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنَّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس الخبر كالمعاين، ولولم ينقل إلينا هذا الشاعر هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم تعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها" . وقد لخص التهانوي وأجمل جهود علماء العربية وبين مدى اعتمادهم على السياق في تحديد الدلالة بقوله "وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد على الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولًا للفظ عندهم، فإنَّ الدلالة عندهم في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقًا" . والقصد لا يتحقق إدراكه إلا من خلال السياق.

3.3. المحور الثالث: أثر السياق عند لقمان أَلَاوِيِّيْ في اختيار الألفاظ واصطفاء المعاني عبر تحليل الحديث النبوي

المهدوف في هذا المبحث ينحصر في تسليط الضوء تجاه طائفة مما يبذلها أَلَاوِيِّيْ في ربط العلاقة بالبلاغة عند تحليل الحديث النبوي، حيث مكنته نظريته وإبداعيته الشمولية من تخطى الامتداد الأفقى إلى أبعاد دلاليَّة وإشاريَّة وإحاليَّة وإيحائيَّة تستعصى على النظر المحدود، بل استعان بما يدور في وراء اللغة عند التحليل والتعليل، حين وضع في الاعتبار مستويات القراء المتذوقين وأحوالهم النفسيَّة والاجتماعيَّة والعقليَّة، وتعدّد القرادة، وأشكال التواصل، ودرجة الفهم والاستيعاب، وكيفيات الترابط الذهني في رحاب السياق المقالي والمقامي، وأخرج النماذج التي يستطيع المتلقي بمساعدتها إقناع سامعيه ببيانه ومقدرته على تحقيق إثارة النص البلاغي.

وفي السطور التالية بعض النماذج المختارة على ضوء الأحاديث النبويّة التي قام أَلَاوِيِّيْ بتحليلها، فاختار الألفاظ والتراكيب المناسبة في موكبها، هذا من باب التوضيح والتمثيل والإشارة إلى الضالة المنشودة، والغاية المقصودة في القضية المدروسة دون الحصر والإحاطة.

- النماذج الأول:

"عن أبي هريرة–رضي الله عنه–أنَّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". (رواه البخاري ومسلم). إنَّ الألفاظ المأنوسة والتراكيب الواضحة التي استعملها أَلَاوِيِّيْ في تحليل الحديث النبوي السابق نصّه؛ وفّت بتصوير وترغيب القلوب تجاه أعمال الإيمان، وأبرز المدلول والمضمون، وفقًا لسياق الكلام في تحليل الفكرة نحو تكريم الجار، وتوضيح الدلالة عبر تكريم الضيف، قائلًا:

"أعد نظرك كرّة أخرى إلى الجملة نفسها، تجد ظاهرة بديعية رائعة بين "القول والصمت" لما بينهما من التطابق والتقابل، و رغم هذا التقابل الشكلي بين العنصرين، فقد تأتي بينهما تناسب دلالي، وانسجام مضموني ".

وبدقة النظر في اختيار هاتين اللفظتين؛ "القول والصمت" لتصوير مدلول الحديث ومضمونه، يجد القارئ أنَّ العلاقة بينهما سياقيّة قبل كونها بديعيّة طباقيّة وتقابليّة، بحيث لا يمكن أن تتبادل هاتان الكلمتان معًا في سياق آخر، كما لا يمكن ترجيح كلمة على أخرى في أداء المعنى المراد. فقد استقرّ بينهما تناسب دلالي، وانسجام مضموني، في تصوير فني لتحليل هذا الحديث النبوي. وقد يواصل أَلَاوِيِّيْ قدمًا في إبراز ما في نص البيان النبوي السابق ذكره إجمالًا وتفصيلًا، وعلى هذا اهتدى إلى اختيار أنسب الألفاظ للقضية، واصطفى أبلغ الصيغ للغاية البيانيّة، وفي هذا الرحاب يقول:

"أتدري مصدر هذا التناسب؟ فهو أمر راجع إلى حسن التنسيق في إضافة الخير إلى القول، فإذا كان الكلام خيرًا لم يعد على قائله بالويل والتبعة، فيكون مثل الصمت والسكوت الذي يكون صاحبه بريئًا من الذم والندم" .

وعند محاولة الفهم والإفهام يبدي أَلَاوِيِّي رأيه مستخدمًا بعض الكلمات البديعية، لتوضيح النظرية الإبداعية في جمع بعض الألفاظ وربطها معًا في إطار عام، ويكسو الفكرة والدلالة بهاءً وجمالاً، ويلبس البيان رونقًا ومتعًا، خذ هذه العبارة مثلًا: "الويل والتبعة"، "الصمت والسكوت" و "الذم والندم". تجد في هذه وتلك ما يعضد القول الذي يذهب إلى إمكان جمع كل كلمات في زاويتها طبقًا لسياقتها، وتصنيفها في تسلسل حقلي ترادفًا، ليشكل الموقع معنى طريف لطيف ومرهف، في جمع تلك الألفاظ وضمها لملاءمة ذات بينها مع طلاوة الرائقة وجوهرها. ولفظة الويل تشكلها لفظة التبعة، ولفظة الصمت ترادفها لفظة السكوت، ولفظة الذم تصورها لفظة الندم.

ومما ينحدر في مؤثرات السياق أيضا عند أَلَاوِيِّيْ خلال التحليل البلاغي على ضوء الحديث النبوي الوارد نصّه هو مقاله بإلمامة في أسلوب التقديم والتأخير حيث يقول موضحًا ومبيّنا:

"ولعل تقديم الجار على الضيف يوقفك وقفة تأمل، لتنتهي إلى نتيجة واضحة تبرّر هذا التقديم، ألا وهي قرابة المقدّم وبُعد المؤخر، فالجار صاحب ملازم قريب، وهو بذلك أولى بالتقديم في الإكرام ".

ومما يراعيها ذوق أَلَاوِيِّيْ وقريحته خلال تحليل الحديث النبوي مستعينًا بالعناصر البيانيّة، حتى تستمد منه الصيغة دلالتها، ترى التركيب يجري في سياقين ويفيض بمعنيين متبايّنين (القرابة والبُعد) و (المقدّم والمؤخر)، تشهد فيهما ربط الخصوصية البلاغية بمحيطها، ودقة الفكرة ووضوحها بالسبب والمزية المنبثقة من أثر السياق. ويُعدّ التقديم مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثل قدرات إبانة أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللقن، إدارة حية وواعية، فيسخرها تسخيرًا منضبطًا للإبانة عن معانيه ومقاصده، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأى تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني، وأحوالها وصورها وظلالها .

"وانظر إلى نظم الحديث البديع، وتأمّل قوة انسجام المعاني بين أفكاره، تجد أنّ الخطاب النبوي نموذج مثالي للبلاغة والنظم، فقد عالج قضايا متعدّدة واستوفى لكل منها حقّها، وراعى التناسب بينها، كما اعتبر بالتلاحم والتلاؤم والتواخي رغم تعدّدها، توخيًّا للوحدة الموضوعية التي تُعتبر عنصرًا مهمّا من عناصر الخطاب البليغ ".

تجتمع هنا الألفاظ والتراكيب بما يتصرف كل منها عليه، وإن تباعد الدال والمدلول في ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، وتلفظ بالقول الحقّ أو الصمت، لأنَّ كمال الإيمان له جمالٌ روحي ينعم به الإنسان، كما ينعم ويتلذذ بطعم الشيء الحلو. وانظر بجانبه الألفاظ التي استعملها أَلَاوِيِّيْ ليبسط ويعبر عن التناسب بمعان عام بدون التضاد في المسميات المترادفة والمتباينة والمتواطئة والمشتركة بسياق الكلام: "التلاحم" و"التلاؤم" و"التواخي". وبناء العبارة في الحقيقة بناء خواطر ومشاعر ومعانٍ ومقاصد قبل أن يكون هندسة ألفاظ وتصميم قوالب، وإذا كان السياق سياقًا بياضًا وحافلًا أبدت هذه الزحزحات الخفيفة للكلمات غنىً وفيضًا، وترى هذا يجري في جميع الأبواب البلاغية في القصر والمسند إليه والمسند، ومتعلقات الأفعال، وتكثر الدراسة المرتبطة بمواقع الكلمات كثرة تلائم حجمها في الاستعمالات وهذا كلّه في إطار الجملة . ولذا لا بد من تمرين النفس ومجاهدتها على هذه الصفات في الحقول الدلاليَّة، ومراقبتها بدقة المزايا البلاغيَّة، حتى يصل المؤمن إلى كمال اليقين الذي يورث صاحبه حلاوة الإيمان من معالم البيان النبوي في نصّ الحديث ذاته.

- النماذج الثاني:

عن أبي ذر: جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن: معاذ بن جبل–رضي الله عنهما، عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال:

"اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ". (رواه الترمذي).

يعتدل أَلَاوِيِّيْ في مناقشته، حيث يمعن النظر في تحليله، ولاسيما عند تناول الحديث النبوي مفصلًا ومجملًا، اختار التعبيرات المناسبة لتصوير الهدف المقصود في دلالة النص تنظيرًا وتطبيقًا، يأخذ هندسية البيان والتبيين باحثًا عن كوامن الخطاب

النبوي دالًا ومدلولًا، فقد يراعي السياقات في تحصيل تلك الغايات البحثية تحليلًا وتعليلًا. بدأ ببراعة مطلع الحديث إذ قسم عرض الحديث وتحليله في ثلاثة فقرات:

وفي الأولى: تناول بلاغة الأمر التي افتتح بها الخطاب قائلًا: "افتتح الحديث بـ"اتق الله" وهو فعل أمر من التقوى الذي يعني اتخاذ الوقاية من عذاب الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه" .

يشرح أَلَاوِيَّيْ مدلول صيغة الأمر في نص الحديث، فيمج قلمه متأثرًا بسياق التقوى على اصطفاءه الألفاظ، وعبر بما هو أنسب وأقرب إلى تصوير دلالة معنى التقوى، كي يدل المتلقي إلى فحواها في مهمّتين، فأصدق قيلًا خلال توضيح مغزاها بأمرين؛ (الامتثال بأوامر الله، والاجتناب عن نواهيه). ولعل سؤالًا هنا يرد مؤاده: ألم يكن الأليق بهذا السياق إيراد أسلوب الإيجاز في بيان الحقل الدلالي لمعنى التقوى المأمور به في مطلع الحديث؟ والجواب: أنَّ بلاغة الإيجاز لو وردت في هذا الصدد قد لا تقضي الحاجة المقصودة في تلك اللفظة، ولا تنال الضالة المنشودة في هذه الكلمة، وذلك لأمرٍ ظاهر تفيد الشمولية والإحاطة والاستيعاب في مقطع الفقرة الأولى نفسها: "حيثما كنت"، لأنَّ التقوى زمام لامتثال الأوامر كلّ وقت وحين، ولجام لاجتناب النواهي في كل زمان ومكان. وكذلك الصيغة التي أفادت معناها في الفقرة الثانية، في فحوى التوجيه إلى التكاثر في فعل الحسنات عاقبة السيئات: "واتبع السيئات الحسنة تمحها"، والعامل اللاحق لتصوير المعنى الوافي، والعنصر المدقّق لتوضيح المقصود الكافي هنا، هو بلاغة المقابلة التي استعان بها أَلَاوِيَّيْ في تحليله.

وإلى هذه النقطة المهمّة يشير سعادته حيث زاد وأضاف مبيّنًا وموضّحًا قائلًا:

"يريك هذا الأمر حرصًا شديدًا من الحضرة النبويّة على صلاح أمّته، ورغبته الفائقة في قيادتهم إلى سمو الروح، ونقاء الطويّة، وقد أدى التقييد الوارد في قوله:" "حيثما كنت"، عدم جعل الاتقاء حكرًا على العلن، أو خاصًا بمرأى الناس، بل أن يكون دائم في كل مكان وزمان" . وقد استوى أَلَاوِيَّيْ عند تعليقه على هذا النصّ ليؤيد ما دال عليه باللفت والتنبيه. وإنَّ تحليل الفكر البلاغي مختلف لا محالة من باحثٍ إلى باحثٍ مع الاتفاق في الجذور التي لا يتسامح فيها أهل العلم .

وأما في الفقرة الثانية يفصح في الأداء المبين عبر خصائص التركيب، ومزايا الأسلوب في تشكيل المعاني، وعلى هذا المنوال يقول:

"وقد أسفر النَّص عن عظمة الله في السماحة والعفو، لما جعل الحسنة ممحاة للسيئة، ممسحة لها، ومكفرة لبوادرها. وفي ذلك ظهور مغزى بياني، وفائدة بلاغية كامنة في التقابل الكائن بين الحسنة والسيئة، ولعل تقديم السيئة على الحسنة إشارة إلى كثرة تعاطيها وارتكابها، وقلّة الحسنات والصالحات في سلوك معظم الناس" .

يطابق أَلَاوِيَّيْ الموازنات الدقيقة لإبراز ما تكمن في النَّص من الظواهر البلاغية، وأردف في موطن أخر بالألفاظ الواردة "ممحاة" و "ممسحة" و "مكفرة"، وهذه الألفاظ الثلاثة كانت جديرة بالعناية خلال تحليل هذا البيان النبوي عن وسائل الترابط في السياق المشير والمثير والمعبر أنَّ الحسنات يذهبن السيّئات، ويطهر النفس من رذائلها. وكما أفاد محمد الصباغ قائلًا: "أنَّ موسيقي

الجملة في هذا الحديث النبوي تنساب على طرف اللسان، وتستمتع بها الأذن، وكأنَّ هذا الكلام موزون لا يمكن أن تنقل كلمة عن موضعها الذي يؤدي ذلك إلى اختلال انسياب الإيقاع في مجراه، وهذا الانسياب الموسيقي راجع إلى تصويره للمعنى إذ يبدأ الحديث بفعل الأمر الحاسم القاطع (اتق الله) ثم نحس في عبارة (حيثما كنت) الاتساع المكاني والزماني معا. وتزداد نبرة الإيقاع سرعة حين يطلب من الإنسان محو الإساءة بالحسنة، ثم يكون هذا الأمر الهادئ الإيقاع باستخدام الفعل (خالق) والمجانسة بينه وبين (الخلق)" .

هذه النقطة يلاحظها صفوة العقول اليقظة، وبيّن أنَّ ما يجعل السياق سياقًا مترابطًا، إنَّما هي ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متقابلة ومتبادلة، وفي هذه الجولة البيانيَّة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق بمساحة فسيحة وفصيحة للتنافس الذوقي السليم عند إعطاء المعنى القيّم.

اشترك أَلَاوِيَّيْ وارتبط الجُمل بعضها ببعض في نصّ الحديث، ويشكّل بينه وبينها علاقات يناط إلى الملقي مهمّة تتبُّعها وإيضاحها. فإنَّ الاتجاه النصّي في هذا الحديث النبوي نماذجٌ حيّ لجوامع الكلم وروائع الحكم في رياض قائله، ومثال صادق على قوّة بلاغة صانعه، فانظر كيف افتتح الحديث بصيغة الأمر: "اتق الله"، واختتم بصيغة الأمر: "وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ". تشير الصيغة الأولى إلى التوجيه نحو حسن التعامل بإخلاص العبد مع الربّ، وأما دلالة الفقرة الثانية المتوسطة تفيد الترغيب نحو تبادل السيِّئة بالحسنة. وكثيرا ما تعتمد لغة الحديث في موسيقاها على التقابل والتوازن الصوتي، مع التطابق الدلالي لتحقيق المغزى بواسطة السياق المقالي، الذى زاد وساعد في وضوح الصورة ورسوخ الفكرة.

وفي الفقرة الثالثة والأخيرة تنبيه على حسن تصرف العبد مع غيره من الخلائق. وبِبُعد النظر وطول البصر يدرك المتلقي المتذوّق أنَّ الفقرة الأولى هي لبّ الموضوع، حيث كانت الثانية والثالثة شروحًا لها، وتوضيحًا لمغزاها. لأنَّ إحسان العبد إلى الخالق والمخلوق دلالة على التقوى المأمور بها في مطلع البيان النبوي ومقدّمته. والتماسك بين أجزاء الحديث النبوي على حسب ما يفيده التحليل البلاغي عند أَلَاوِيَّيْ واضح لمن تأمله بأناة، وهو بمجموعه يؤدّي غرضًا دينيًّا وسلوكيًّا مهمًّا هو تقوى الله وإجلاله، والحذر من الوقوع في معصيته.

- النماذج الثالث:

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الذدري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: "لا ضرر ولا ضرار". (حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني).

بذّل أَلَاوِيَّيْ جهودًا مضنية خلال تحليل هذا الحديث الشريف، مسوق لبيان حال الناس، وتوجيه نحو حسن تعامل بعضهم ببعض، وتوعية على خير التصرف فيما بينهم، وفي ذلك أفاد وأجاد قائلًا:

"يتضمن الحديث معنى ساميا، ورسالة ناطقة عن سماحة الإسلام، وطيب سلوكه، وإنسانية أهدافه، وما يرتمي إليه الدّين في بناء مجتمع إنساني عنوانه السلامة، وعلى بوابته الأمن والأمانة، وشعاره الطمانينة، والمعاشرة الحسنة بين جميع الأفراد البشرية" .

يكشف أَلَاوِيَّيْ مساحة السياق أثناء تحليله، واستعمل قيود التوارد المعجمي التي يراعي في الألفاظ الواردة في بيانه وتبيّينه على دلالة لفظة "الضرر" كما ينهى عن كل ما يسبب ذلك الضرر للنفس وللغير، حسب ما جاء في عبارة النص البلاغي، على ضوء الحديث النبوي السابق ذكره، وانظر مثلًا لفظة "السلامة" و "الأمانة" و "الطمانينة"، كلُّها صورة واضحة استعملها أَلَاوِيَّيْ لتوطيد العلاقة بين السياق المقالي، المؤثرة والمنتجة من المعاشرة الحسنة بين جميع الأفراد البشرية، لنبذ الضرر من النفس والغير، ودفاع السوء عن القاصي والدانى، والكفّ عن كل ما يفسد العلاقة الطيّبة بين الراعي والرعيَّة. والجملة هي وحدة التحليل الدلالي في بيان أَلَاوِيَّيْ، يتّسم بسعة نسبية لمفهوم صلاحية مجتمع إنساني، ويؤدي معنى متكاملًا بما في المسند إليه حسب مقياسه للتحليل والتعليل باستعمال العبارات المتعمّقة أبعادها في الشؤون الاجتماعية العامّة، التي تقوم عليها روابط المعيشة ومصلحة الأمّة: "عنوانه السلامة" و"بوابته الأمن والأمانة" و"شعاره الطمانينة". فالسياق ذو أثرٍ بالغٍ في اصطفاء ما يضاف إليه في هذه التعبيرات الثلاثة. فالبلاغة بشأنها يمكن أن تصل إلى الهدف الذي يتمثل في إرشاد السامع أو القارئ، إلى التعرُّف على المتكلم أو الكاتب بطرق ثلاث: بشرح تعليمي موجَّه في المقام الأول، وبغرض ممتع، ثم من خلال طريقة عاطفية، أي بلاغية بارعة .

- النماذج الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب–رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول:"بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم).

يبدي أَلَاوِيَّيْ رأيّه، وأدلى دلوه في تحليل هذا الحديث النبوي، إذ أجاد وأفاد في إخراج ما تكمن فيه من الظواهر البلاغية، مرتبطًا السياق بالسياق؛ المقالي والمقامي، حيث اختار أنسب الألفاظ والمعاني، لتوضيح غاية ما في الخطاب النبوي، استمع إليه حيث يقول مبيّنًا:

"أما قوله: "لا إله إلا الله" ففيه من بلاغة القصر ما يوجب وفقة للنظر، لأنّ هذا التعبير الجليل هو الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وإنَّ جلاءه بطريق النفي والاستثناء مناسب للمقام، لكونه طريق القصر المستخدم غالبًا في مقامات التكذيب والإنكار والجحود، ولذا وجب على كل من أراد الدخول في الإسلام النطق بهذه الصيغة بالقلب واللسان، ليعلن به عن إيمانه وعن براءته من إنكار الوحدانية" .

استطاع أَلَاوِيَّيْ بقوّة ذكاءه، ودقة ذهنه، وروعة فكره أن يحلّل مضمون نص الحديث النبوي السابق، أفهم مقاصده مجملًا، وأحكم معناه مفصلًا، رعى السياق بكلماته المحدودة ويعبر عن موضوع في غاية الدّقة لأنَّه يتعلق بذات الله، فاستخدم الصور الحسيّة بأسلوب رائع يحقّق الغرض الديني على أتم وجه. أبرز الفحوى في الحقل الدلالي، وأظهر المغزى في المقصد البلاغي، بأسلوب القصر الظاهر أنَّ السياق يوحي بالاتجاه ويؤثر في إثبات الألوهية والوحدانية. وفي أول وهلة اكتسب أَلَاوِيَّيْ الصفة المنسجمة واللاحقة بمقتضى الحال، فيكشف بها عن السياق المقالي والمقامي المشير إلى الوحدانية بدلالة النص وعبارته، اقتبس مثلًا قوله: "لأنَّ هذا التعبير الجليل"، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا في هذه الجولة البحثية؛ ما ذاك التعبير المشار إليه؟ ولماذا

وصفه بالجلالية؟ التعبير هو "لا إله إلا الله"، والجواب أنَّ أَلَاوِيَّيْ وصفه بالجلالية إذ هو لفظ الجلالة، ولا تناسب صفة أخرى بسياق هذا المقال والمقام، أن يقول مثلًا: "التعبير الرائع" متّصفًا بالروعة، أو "التعبير الكريم" متّصفًا بالكرامة، أم "التعبير العزيز" متّصفًا بالعزَّة، كلّها لا تطبق مقتضى الحال.

وأما وصفه بالجلالية قائلًا: "التعبير الجليل" قد أتت الصفّة في محلّها من الصورة، وهي كلمة الشهادة، وصيغة التوحيد، وإنّه هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والعامل الفارق بين التوحيد والشرك، ولما كان السياق للوحدانية عبر بما يرفض عكسه، وأتى بما يرد ضدّه، وأفاد فيما ينكر سواه. و على هذه الشاكلة استعمل أَلَاوِيَّيْ عبارات متوازية ومتمكّنة ومترادفة قائلًا: " لكونه طريق القصر المستخدم غالبًا في مقامات التكذيب والإنكار والجحود"، يصوّر هنا أيضا غاية ما في أسلوب القصر لنفي الشرك بالله، ولتكذيب جعل له الأنداد، وإنكار نسبة الولد إليه، وجحود من جاءه بالشبيه والنظير أو المثيل بين المخلوقات. فإنَّ التحليل البلاغي في ظلال هذا الحديث النبوي من البحوث الدقيقة، وأنَّه لذو فوائد جمّة، وأنَّه لجدير بجدٍّ وجهدٍ، ولذا ترد عبارات أَلَاوِيَّيْ مؤكدّة لأنّه حريص على بث الفكرة وتقويتها، وإيثارة اهتمام النفوس بها. تجد أساليبه تعلو نبرتها عند إرادة اللفت والإيقاظ، وتهيئة الذهن لما يلقي، ومرابط على ثغور الأمّة مشار إليه إشارة لماحة، وفي معمعة سياقة تقويّة مضمون البيان النبوي عند المخاطب وتقريره في نفسه.

- النماذج الخامس:

عن أبي يعلي: شدّاد بن أوس، رضي الله عنه، عن رسول الله قال: "إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته". (رواه مسلم).

يدقق أَلَاوِيَّيْ النظر إلى السياق المقامي باصطفاء الأساليب في تحليل الحديث النبوي، فناسب فحواه، ومن نماذج ذلك ما يثبت قريحته خلال توضيح الحديث السابق نصّه، حيث استخرج في زاويته درر التراكيب لإبراز دلالة النَّص البلاغي. قد صاغ نص الحديث عقلية المتلقي صياغةً جديدةً، وأعاد بناء السلوك والفكر الإنساني، والمعتقدات الإنسانيَّة، في كل ما يأتيه المرء ويذره، وما يعقله ويعتقده، وما يعلمه ويدركه. وعلى هذه الشاكلة يقول:

".....دقة اختيار الألفاظ: وتجد هذه في المفارقة الدلالية بين القتلة والذبحة حسب سياق النص، فالأولى في القصاص بالنسبة للإنسان، أو في الأشياء غير المأكولة، أما الذبح فهو في الأشياء المأكولة" .

أبرز أَلَاوِيَّيْ مقاصد الخطاب النبوي، وعلى قائله–صلوات الله وسلامه–فتجد انصياع التركيب اللغوي للفكرة، إذ لا تُعمى الصورة دلالة المعنى، ولا يأتي الكلام جافًّا مُسرفًا في تقرير ما يفيده السياق، وإذا انتهى المعنى أبرز الحجّة، وأمتع الوجدان، وأشركه في تلذذ التصوير، حيث قام بمزية الاختلاف والائتلاف بين دلالة لفظة "القتلة" ولفظة "الذبحة"، وقد لا يتكلَّف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، وإنَّما يتعامل مع دلالة النَّص وخصائص تركيبه، فأتى بالبيان الكافي للغرض المقصود، والتوضيح الوافي للهدف المراد، حيث جعل فقرة الحديث في طائفتين مراعيًا فيهما مؤثرات السياق في دلالة لفظة القتلة والذبحة، فكانت الأولى "القتلة" مستعملة في القصاص لمن ارتكب الجريمة من

بني الإنسان، أو غير المأكولة من الحيوان، وأما الثانية: "الذبحة" تستعمل للمأكولات من الحيونات، وذلك دقة اختيار الألفاظ ذات المعاني المتبيّنة، ذات الوظيفة الدلالية المتماثلة بالتميّز والتدقيق بين اللفظتين: "القتلة والذبحة".

"إنَّ الرحمة من أهم الرسائل التي بعث المصطفى لنشرها على الكوكبة الأرضية، لتعمّ الخلائق على اختلاف أجناسها وأصنافها. فالنصّ الذي بين يديك، شهادة صادقة لحقيقة ثابتة للدّين الإسلامي، وهي أنّه دين الرأفة، والرحمة، والشفقة، ليس لمعاشر الإنس فحسب، بل للعالم أجمع" .

شكل أَلَاوِيَّيْ على ثوابت من الآراء والأفكار، ويحسنها ليكون موطن الشوق، ومن زاوية المعاني يرى الناظر المدقّق المتذوّق عظمة النَّصّ البلاغي في الوصف البليغ الدال على الصفات الثابتة للإسلام الحنيف، فتكمن أبلغية بلاغة أَلَاوِيَّيْ في تحليل هذا الحديث الشريف، حيث أنعم النظر وأمعن البصر كي يراعي سياق المقال الذي يطابق المقام، المعبر جميع العالم عن خصائص الدّين الإسلامي ومميّزاته من الرأفة والرحمة والشفقة. ومما يضيف أيضا على رأفة الإسلام ويشير إلى رحمته، ويصدق شفقته هو تعبير أَلَاوِيَّيْ خلال تحليله:

"أما قوله: "وليرح ذبيحته" فهو تعبير زائد على "فليحد أحدكم شفرته" ليفيد الجمع بين شحذ السكين وإعمال القوَّة في قطع الودجين والحلقوم تيسرًا على الذبيحة، وإراحتها بالسرعة. فهو تعبير في غاية التكملة للفكرة، والتتمة لبيان الخطاب" .

إنَّ طريق التحليل هنا أوكد إثبات المعنى بعبارتين: "والحلقوم تيسيرًا على الذبيحة، وإراحتها بالسرعة"، واقتضى حسن السياق أن يجيء بنا العبارة على ما هو عليه حتى تتسق عناصر الدلالة، وعدم الانفكاك، ووجوب الالتصاق في الغاية المقصودة نحو تحقيق الرأفة، والضالة المنشودة تجاه تحصيل الرحمة، وتصوير الشفقة في تحليل أَلَاوِيَّيْ خلال ربطه المباني بالمعاني في ظلال البيان النبوي.

4. الخاتمة

ويلاحظ هذا المقال نطاق التوسيع والتطور في ظلال البيان النبوي على مدى توضيح الفكرة بالتطابق، لتفصيل الغاية في السياق، بما فيه من ارتباط قويّ بين منطقة القلب ومنجز الذهن، وللبلاغة دورٌ مماثل عند إنتاج النَّص، وذلك فيما يتصل بالعناصر من النظام، وتقابل أنماطها واستراتيجياتها التي تتبعها من أجل التأثير والإقناع. وليس من السهل الاندفاع في هذا كذلك فيما يتصل بالتراكيب التي تستخدم في البرهنة أو بنماذج الصياغة المتعددة. وعلى هذا المنوال قد تصور السطور السابقة مكونات النصيّة في تفاعل السياقات، على ضوء إنتاجات أَلَاوِيَّيْ بمعالم البيان النبوي، في موكب النماذج المختارة بما لا تقلّ من خمسة الأحاديث النبويّة المدروسة. يرتكز البحث على مناقشة القضيَّة عبر تناسب الأسلوب مع سياق الحال وسياق المقال عند الأستاذ الدكتور لقمان أَلَاوِيَّيْ في موكب تحليله البلاغي، في معالم الحديث النبوي، وأمعن الكاتبان نحو مؤثرات السياق في اختيار الألفاظ بدلالاتها، واصطفاء الأساليب في مناسبتها، وخصائص التراكيب لتصوير معانيها.

وفي آخر المطاف قد يسلط المقال ضوءً على مدلول لفظة "السياق" في المفهوم المعجمي والاصطلاحي، وأفاد بما تكمن في مصطلحاتها من آراءٍ وأفكارٍ. ويبسط صورة واضحة على مدى اهتمام العلماء بمراعاة السياق عبرمطابقة كلامهم بمقتضى الحال. وكما تتمثل في السطور السابقة وتثبت ظواهر بلاغيّة متمكنّة ومتميّزة في مكتبة بيانية، على ضوء الرسالة النبويّة في مختارات أحاديثه المدروسة. وعلى هذا قد أفادت المقالة عبر إخرجت قبسات بيانيّة نحو طائفة من أدوار فعّالة قام بها ألاوبي في تحليل الحديث النبوي إجمالًا وتفصيلًا. وعلى مدى هذا الجهد العلمي يبرز الأنموذج الواقعيّ في الصفحات السابقة بمؤثرات السياق في اصطفاء الألفاظ والأساليب عند ألاوبي، عبر توطيد الفحوى وترويد المغزى في الأحايث النبويَّة.

المراجع والمصادر

ابن القيّم الجوزيّة؛ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون–شركة الطباعة الفنيَّة المتحدة–القاهرة، سنة 1968م.

إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية–إستنبول، ط 2، 1392هـ\1972م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الهدى–بيروت، لبنان، د.ت.

ابن منظور المصري، لسان العرب، تقديم عبد الله العلايلي–بيروت، د.ت.

ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلميّة–بيروت، ط 3، 1981م.

أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، غير مؤرخ.

الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة–بيروت، د.ت.

تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثانية، غير مؤرخ، دار الهدى للنشر والتوزيع–بيروت، لبنان.

جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة–بيروت، د.ت.

جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر–بيروت، 1385هـ\1965م.

جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت 1984م.

سعد الدّين التفتازاني، المطول، الطبعة الأولى–1419هـ، مطبعة الحكمة للنشر والتوزيع–تركيًّا.

سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى–1434هـ\2004م، طبعة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع–القاهرة:65 شارع النزهة–مصر الجديدة.

سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، الطبعة الأولى–1421هـ\2001م، بدار الآفاق العربية–مدينة نصر–القاهرة.

عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، الطبعة الثانية–1421هـ، بدار الكتب العلميّة–بيروت لبنان.

لقمان ألاوبي، التحليل البلاغي للأربعين حديثا النوويّة، الطبعة الأولى–1431هـ–2010م.

محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ت: أحمد محمد شاكر–القاهرة، د.ت.

محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الطبعة الثامنة–1430هـ–2009م، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع–القاهرة.

محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب؛ دراسة بلاغية، الطبعة الرابعة–1429هـ–2008م، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع–القاهرة.

محمد الصبَّاغ، التصوير الفنّي في الحديث النبوي، الطبعة الأولى–1409هـ–1988م، المكتب الإسلامي، بيروت–لبنان.